في سبيل

لغة القرآن

جمال الشيخ

الطبعة الأولى

تأليف
الدكتور مرزوق بن صنيتان بن تنباك
قسم اللغة العربية - جامعة الملك سعود

١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

في سبيل لغة القرآن

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

تأليف
الدكتور مرزوق بن صنيتان بن تنباك
قسم اللغة العربية - جامعة الملك سعود

الطبعة الأولى

www.mtenback.com

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

اللغة العربية تعرض حالها بعد ندوة الأدب الشعبى فى الدوحة[1]

اللهم إليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى ، إلى من تكلنى .. ؟ إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى ، ولكن عافيتك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة .. من أن تنزل بى غضبك .. أو يحل علىّ سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله .

إلهى لقد حاربنى أعداء أهلى وأعداء قومى ، وقد صمدت وقاومت ورددت العدوان وأثبت للناس كافة أننى الأقوى والأصلح بعد أن تكسرت السهام على السهام .. سهام أعدائى من المستعمرين والمستشرقين ومن لف لفهم .. حاربنى الاستعمار فى كثير من الأقطار العربية .. ودقوا على وتر العاميات وكتبوا بها وترجموا إليها أجمل الفنون الغربية ، ليصدوا الناس عنى فتصديت لهم وقارعت الحجة بالحجة وألحقت هزيمة ساحقة بالدكتور الألمانى الانجليزى سبيتا ودعوته الشهيرة بكتابة (قواعد العامية العربية فى مصر) ، وقد

---

(١) الجزيرة ١٤٠٥/٣/٤ هـ - ١٩٨٤/١١/٢٦ م -عدد ٤٤٤٢ .

www.mtenback.com

استعمل سلطانه ضدى وسلطان بريطانيا العظمى فى ذلك الوقت .. فأرادوا القضاء علىّ .. وكل عدو غريب للعرب كافة يحاربنى ، فأنا ركيزة القوة العربية وأنا اللسان الذى يفهم به كل العرب أمجاد آبائهم وأجدادهم ويدركون عظمة موروثهم الحضارى ، فلا ينخدعون بحضارة الغرب والشرق ..

لقد أحبطت مخططات سبيتا وأعوانه وما كان هو ولا كتابه ولا وظيفته التى وضعه الأعداء فيها لينال منى نيلا ولا كان زميله ومواطنه كارل فولدس الذى أعقبه فى وظيفته ونفذ أهدافه أقل خطرا منه بل كان أكثر حماسة لدعوة أستاذه وقد ألف كتابا آخر ضدى سماه (اللهجة العربية الحديثة فى مصر) ودعا إليها وزعم أن العامية التى يدعو إليها ستكون القاضية علىّ وقد فشل أيضا .. وانضم إليهما ثالث : وما شر الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذى لا تصبحينا وهو سلدون ولمور كان قاضيا فى مصر فأراد الضرار بى فكتب كتابه (العربية المحلية فى مصر) وغير هؤلاء من أبناء دينهم كثير ، دفعوا المكافآت الكبيرة لمن يهجرنى ويكتب فى العامية فلم ينجحوا وقد انضم إلى هذا الفريق الأجنبى فريق من أبنائى وممن تربى فى حجرى أخذوا عنهم منهم قاسم أمين وسلامة موسى ولطفى السيد وعبد العزيز فهمى وغيرهم فعفوت عنهم والتمست لكل منهم عذرا ..

فقاسم أمين جلب أباه وأضر به من ينتسب إلى فأكرمته واحتضنته ابنًا من أبنائى لكنه يعرف أن أباه ذئب ، أما سلامة موسى فبلواه أبدية معى وقد حارب كل الأديان من أجل أن يصيبنى منه شهاب فإذا كتب

www.mtenback.com

كتب يهدم الأديان والمثل ، وما يعنى بذلك .. إلا ما يعنى المثل العربى (إياك أعنى واسمعى يا جارة) وقد احتملت لقاسم أمين ولسلامة موسى ذلك وجعلته دبر أذنى وتحت قدمى .. أما أبنائى الخلص فلم أضق ذرعا بعقوقهم ، وحمدت فضيلة الانجاب وكثرة الولد ، وذكرت أن لى أبناء فى العراق والشام والمغرب الأقصى وأن لى عندهم برا ورحمة وقبولا وميزت بين العداوة والعقوق ، فأحمد لطفى السيد يريدها مصرية إقليمية ويرانى أمًّا لكل العرب وهو لا يريد إلا مصر ولا يبالى بغيرها .. أما عبد العزيز فهمى فهو الباشا وهو بحربه وعداوته يرد بعض الجميل للذين أعطوه المكانة ، ولقد آلمنى حقا عندما خطب فى مجمع اللغة العربية فعظم أعدائى كل التعظيم واستهان بأبنائى كل الاستهانة وهون وضعَّف قدر العرب وقال بالحرف الواحد (لا شك أن حضرات المستشرقين ، من بريطانيين وفرنسيين وايطاليين وألمان وأمريكيين ، يعجبون منا نحن الضعاف الذين يطأطئون كواهلهم ، أمام تمثال اللغة .. لحمل أوزار ألف وخمسمائة سنة مضت) . لقد قسا على وظلمنى ...

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة
على النفس من وقع الحسام المهند

لقد شعرت بالظلم عندما سمعته يقول ذلك لكن بعض أبنائى الذين دافعوا عنى وفندوا آراءه .. خففوا وقع الألم عن نفسى .. وذكرنى بعضهم بأبنائى فى الجزيرة عندما قال :

سقى الله فى أرض الجزيرة أعظما
يعـز عليهـا أن تلين قنـاتى

www.mtenback.com

لقد كنت أظن أننى إذا هوجمت على الثغور وفى الأطراف فلازلت منتصرة لأن أبنائى فى الجزيرة هم الحصن الحصين وهم القلب النابض وهم الذين لم تطأ أرضهم قدم مستعمر وقد شجعنى أننى انتصرت فى مصر وفى الشام ولا أحتاج إلى التراجع ولم يخطر ببالى عملية الالتفاف على الحوزة .

لكننى شعرت منذ فترة أن فى الجزيرة من يدرس ويعنى بهذا الجانب باسم الأدب الشعبى والشعر الشعبى والموروث الشعبى وقد احتملت ذلك على الرغم من أنه يؤلمنى ويحط من مكانتى ويصد الناس عنى « لأننى ظننت الأمر عفو الخاطر ومغازلة للعامية لن تصل إلى الهيام والحب الأبدى » ...

على الرغم من أنهم وصفوه بأن فيه تراثا وجذورا تاريخية وأن فيه ماضيا عمره سبعة قرون .. فقلت لا بأس صحبتى معهم أطول وأكلها أقوى من هذه القرون السبعة وتمنيت لو قارن أبنائى فى الجزيرة هذه القرون السبعة بألف وخمسمائة عام لأنهم سيجدون أنهم فى هذه القرون السبعة كانوا مدينة تهاجم مدينة وقرية تصول على قرية وقبيلة تنتهب قبيلة لا أمن ولا استقرار ولا قوة ولا فكر .. وما يفخرون به هو نتاج ضعيف فكريا واجتماعيا وأدبيا .. أما فى القرون الأخرى فقد كانوا أمة لا قبيلة وكانوا دولة لا مدينة وكانوا حضارة .. فلماذا يهيمون بالمفضول مع وجود الأفضل .. ؟ .

ولو أن هذه الجفوة التى أراها قد بدأت فى الجزيرة ، صدرت عن قناعة ذاتية نابعة من نفوس أبنائى وصلوا إليها بعد الفحص والتمحيص

www.mtenback.com

لهان على الأمر .. لكننى أعرف أن الأمر Ready made صنعه أعداء العربية قبل سبعين عاما ووضعوا له الأطر والقواعد وعجزوا عن تطبيقه لبعدهم عن فهم البديل .

فجاء أبنائى يطبقونه ويزيدون عليه ما لم يخطر ببال الأعداء .. يقول عدو اللغة العربية ولمور (خير الوسائل لتدعيم اللغة القومية « العامية » هى أن تتخذ الصحف الخطوة الأولى فى هذا السبيل) وقد أخذت الصحف فى الجزيرة بهذه التوصية منذ عشرين عاما فلم ترضى محبى العامية .. فجاءت ندوة الدوحة ندوة التخطيط لجمع وتصنيف ودراسة الأدب الشعبى فى الدوحة بما لم يخطر ببال ولمور ..

ومن توصيات الندوة :

١ – ضرورة الاستفادة من التجارب الرائدة .

٢ – تحديد مفهوم الأدب الشعبى .

٣ – ضرورة التواصل بين الباحثين فى الدراسات الشعبية .

٤ – الاستفادة من جهود العرب فى مجال التدوين والتوثيق .

٥ – على كل دولة عربية أن تقوم فى مهمة خاصة .

٦ – جمع مادة الأدب الشعبى من جميع مكتبات العالم .

٧ – دعوة الجامعات ومراكز البحث العلمى إلى الاهتمام بالدراسات والأبحاث فى مجال الأدب الشعبى .

٨ – تجنيد الجامعين الميدانيين له ..

www.mtenback.com

٩ – حفظ المأثورات الشعبية فى الأدب الشعبى ..

١٠ – إعداد الباحث الشعبى إعدادا علميا وفنيا .

١١ – إعداد فرق عمل ميدانية كاملة مجهزة يشتمل كل فريق على جميع المتخصصين من جامعين وباحثين ومصورين ومهندسى صوت ..

١٢ – الاستعانة بوسائل الإعلام ..

١٣ – تحديد أنماط الأدب الشعبى وأجناسه ..

١٤ – تشكيل لجنة من المختصين لدراسة صيغة علمية لكتابة اللغة المحلية لتدوين أنماط الأدب الشعبى .

١٥ – تكريم الرواد الذين ساهموا بجهود طيبة فى مجال جمع وتدوين وتصنيف ودراسة أنماط الأدب الشعبى ..

إن هذه التوصيات لو توفرت لأى لغة فى الدنيا لما أصبح فى العالم غيرها ..

لقد وأدونى فى ندوتهم هذه ، شعروا بذلك أم لم يشعروا فهل من صعصعة يدفع عنى دية الموءودة .. ثم أسألكم ما علاقة جامعة جنيف فى هذه الندوة وما علاقتها بتراثكم الشعبى .. ؟ هل لها دور لا أعرفه .. ؟ أجيبونى رحمكم الله ..

www.mtenback.com

لا يجب أن يكون للعامية ما للفصحى[1]

تفضل الزميل الدكتور[2] فى كلمته المنشورة برسالة الجامعة العدد ٢٦٢ فى ١٤٠٥/٢/٢٤ هـ فعقب على ما تعرضت له فى محاضرتى الموسومة كما يقول « بظاهرة انتشار الشعر العامى فى الجزيرة » وقد تضمن تعقيبه الكثير من الملاحظات والآراء التى ودّ مخلصا أننى تعرضت لها والآراء الأخرى التى تمنى أننى اجتنبتها ، واقترح أشياء خطر بعضها على بالى ولم يخطر البعض الآخر لى على بال ، ولو انصب كل كلامه على الأفكار التى جاءت فى المحاضرة وفنّدها أو عارضها معارضة صريحة لما كتبت حرفا واحدا ، لسبب بسيط جدا وهو أن أول كلمة قلتها فى تلك المحاضرة هى أننى لا أطمع بالاجماع على أى رأى من الآراء ولا أدعى الكمال من النقص الذى يجده من يبحث عنه .

وقد طرح أسئلة واستفهم عن أشياء يريد منى الجواب عليها لأنه كما ذكر كان فى الوادى الذى لم أكن أنا ومن معى فيه ، ولو كانت

---

(١) رسالة الجامعة ١٤٠٥/٣/٩ هـ - ١٩٨٤/١٢/١ م - عدد ٢٦٤ .

(٢) الدكتور هو أحد الزملاء فى كلية الآداب ، وقد أصبح بينى وبينه من الصداقة والألفة ما هو أقوى من كل اعتبار وأثناء تحريرى لهذه المقالات وإعدادها للنشر كان خارج المملكة فى شبه إقامة دائمة فلم أستطع الاتصال به لاستئذانه بذكر اسمه أو عدم ذلك .

www.mtenback.com

كلمتى مكتوبة فى جريدة لأحلته عليها وأحلت القراء الذين قرأوا ردّه ولم يسمعوا الحديث الذى دار بينى وبينه .

ولكن المحاضرة كانت غير مكتوبة إلا ما نقلت من بعض المراجع التى أشار الدكتور إلى اثنين منها وهى أكثر من ذلك بكثير لهذا السبب وجدت من حقه على ومن حق القراء الذين قرأوا كلمته فى (الرسالة) التوضيح حتى يطلعوا على رأيى موثقا وموقعا عليه ويكون فى يده الدليل المادى على ما أقول وسأعمد إلى ما يفيد بنقاط مركزة . أما ما تفضل به من تعريض وما يجب وما لا يجب فلن أحتاج للرد عليه .

(أ) يقول : إنه فشل فى إدراك الربط بين الدعوة للعامية فى مصر والشام وما يجرى فى الجزيرة .

وأقول :

إن الرابط بينهما هو أن الدعوة للعامية فى الشام ومصر كانت صريحة معلنة تصدرها رجال وقالوا كل ما يستطيعون فى سبيل نجاحها ، ولم يفعلوا شيئا وجاء رجال فى الجزيرة يطبقون عمليا وبصمت ما دعا إليه الداعون فى مصر والشام متذرعين بالحفاظ على الأدب الشعبى والتراث الشعبى والشعر الشعبى ، ففى مصر قالوا الكثير ولم يفعلوا إلا القليل ، وفى الجزيرة فعلوا ويفعلون كل ما يمكن فى سبيل العامية ولا يقولون شيئا البتة ، هذا هو الرابط وهو وجه من وجوه الاتفاق على الغاية والاختلاف على الوسيلة .

www.mtenback.com

ويقول الدكتور : إنه لا يعلم سببا لاقحام عبد العزيز فهمى ولم يدر أنه دعا إلى العامية .

إليك السبب نصا من لسانه وقلمه يقول عبد العزيز فهمى : « لم يدر بخلد أى سلطة فى أى بلد من تلك البلاد المنفصلة سياسيا أن يجعل من لهجة أهله لغة قائمة بذاتها » .

وأسوق سببا آخر يقول : « إن أهل اللغة العربية مستكرهون على أن تكون العربية الفصحى هى لغة الكتابة عند الجميع » .

فهل علمت سببا الآن لإقحامه ؟ إن لم تعلم بعد فإليك سببا لا مزيد عليه ، يقول بعد أن أثنى ثناء عطرًا على الانجليز الذين يحتلون مصر فى ذلك الوقت وعلى الأمريكان والغربيين كافة وعدد دولهم وجنسياتهم يقول : « إنهم يعجبون منا نحن الضعاف الذين يطأطئون كواهلهم أمام تمثال اللغة ، لحمل أوزار ألف وخمسمائة سنة مضت » . وفى هذه الألف والخمسمائة سنة كتاب الله وسنة نبيه وتاريخ الخلفاء الراشدين وأمجاد بنى أمية وحضارة الدولة العربية الاسلامية فى عهد بنى العباس وكلها فى رأيه أوزار يحملها على كتفه فهل علمت الآن سببا لاقحامه ؟ !! .

(ب) يقول الدكتور : إن العامية واقع موجود وعلينا أن نسلم به وإلا فكيف نعلل اشتغال أدبائنا وعلمائنا فيه بل إن الأمر يصل إلى تقعيده واستنباط بحوره .

www.mtenback.com

وأنا أشهد على أن العامية واقع ولكن للعامية فى كل لغة من اللغات ذات الموروث الحضارى حيزا تحتله فوجودها كواقع فى كل لغة لا يجعلها تنتقل من حيزها الضيق الذى خصص لها بل نتعامل معها فى واقعها وفى حيزها وفى حدود ما تعارف الناس عليه . وحيزها وواقعها هو أن تكون للكلام الدارج على ألسن عامة الناس ، أما إذا كتبناها وأعطيناها اسما آخر وأضفينا عليها لغة أدب وشعر فتكون فى هذه الحال لغة كتابة وأدب وشعر وتنتقل من حيز العامية إلى محيط اللغة القومية أو القطرية وتصبح فصحى لأهلها يتجدد منها عاميات ، وهذا هو ما يسعى إليه دعاة العامية . ونحاول نحن أن نقول رأينا فى خطورة هذا التطور على موروثنا الثقافي الضخم وديننا ووحدتنا الكبرى ، أما التسليم والتعليل لاشتغال الأدباء بها والتقعيد واستنباط البحور كما ذكرت فأنت قد سلمت بأهمية العامية وهذا وجه الخلاف بينى وبينك ومن حق القراء أن يعرفوا أنك صاحب موقف مؤيد لجمع العامية وها أنت تقوم ببحث ضخم تجمع فيه عامية مدينة من مدننا ولهجاتها وكان من الأمانة العلمية والمناقشة الموضوعية أن تُعرِّف الناس بموقفك وآرائك حتى لا يظنوا أنك محايد بينما أنت صاحب موقف بجانب العامية وكل من يعارض هذا الموقف فستكون على خلاف معه وهذا حق من حقوقك ومن حقك أن تناقش الأمر مناقشة صاحب الموقف المعارض .

أما الأدباء الذين أشرت إليهم فنحملهم على كل محمل حسن ، وعندى فرق بيّن بين دراسة العامية وشعرها كظاهرة بأسلوب عربى

www.mtenback.com

ناصع البيان وبين تقعيدها كما ذكرت وتقنينها ، فهذا شيء وذلك شيء آخر ، ونزيد الأمر وضوحًا ونقول : إن الحق لا يعرف بالرجال ، فأحمد لطفى السيد وعبد العزيز فهمى كانا أعظم رجلين فى الأدب، وفى السياسة وفى المركز الاجتماعى فى مصر إبان الدعوة إلى العامية وقد انضما إليها .

أما كيف ندرسه أكاديميا علميا » ؟ .

فأنا مع من يرى دراسة الذى قيل قبل خمسين عاما وحفظه وتكليف الأساتذة الجامعيين المتخصصين فى التراث بدراسته كظاهرة لغوية لا لنشره وتقعيده وإحيائه كما يحدث فى الصحافة والنشر الآن .

(جـ) يقول : لنا أن نهتم بدرسه والبحث فيه لا لاعتماده لغة كتابة ولا إحلاله محل الفصحى ولا أظن عاقلا يقدم على ذلك اليوم .

هذا كان ظنى أيضا أنه لن ينادى أحد بكتابته اليوم لكن بعد عشر سنوات سيكون من الضرورة كتابته واحلاله محل الفصحى وهذا ما أشرتُ إليه فى حديثى ، لكن أهل ندوة الدوحة للتخطيط للأدب الشعبى خيبوا الظن وسبقوا الزمن المحدد وأعلنوا فى ندوتهم أنه يجب أن يكتب ويقعد اليوم وإليك وإلى القراء فقرة واحدة من عشرين فقرة أوصت بها الندوة وهذه أهونها : أوصت الندوة بتشكيل لجنة من المختصين لدراسة صيغة علمية لكتابة اللغة المحلية المحكية لتدوين أنماط الأدب الشعبى .

www.mtenback.com

هل تريد وهل يريد الناس بعد هذه التوصيات ولاسيما هذه الفقرة مزيدا من الأدلة ؟ التى لا تترك مجالا للشك بأن الأمر لم يكن عفو الخاطر ولم يكن إعجابا بالعامية والأدب العامى ، إن الكتابة بالصيغة العامية والتقعيد الذى أشرت إليه لا يجعل اللغة العامية لغة محلية فحسب وإنما سيجعلها لغة قومية قابلة للتطور لتصبح فصحى تحل محل العربية وعندئذ لا ينفع اكتشاف الخديعة بعد فوات الأوان .

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

التلازم بين الدين واللغة[1]

أهم ما تعتد به الأمم من تراث لغتها ودينها ، لأنها بهاتين الوسيلتين تحقق ذاتها وتميز شخصيتها ، وهاتان الخصلتان هما رصيد الحياة لكل أمة يجب الحفاظ عليهما والذود عنهما ، وفى اللغات التى سبقت اللغة العربية وعرفت الأديان لم يكن هناك بالضرورة تلازم بين اللغة والدين . فاللغة صورة حية ومرآة تعكس على صفحتها أمجاد الأمة وتعطى المثل الحى لما لها من قوة واعتزاز وما تفخر به وترفع من شأنه فى حياتها السياسية والفكرية ، أو تصبح لغتها صفحة داكنة تشهد بما تحس به وتعانيه فى داخلها من خنوع وانفصام .

ولهذا السبب وحده أدرك أعداء الأمة العربية أهمية اللغة وخطرها على مطامع الاستعمار ، وخطرها كعنصر فعال فى الوحدة الكبرى التى قد تحقق لأهلها كيانا سياسيا يؤثر فى السياسة العالمية ويحقق مكاسب كبيرة قد تحول هذه المكاسب دون تحقيق الأهداف التى يتطلع لها الأعداء ، وعلى رأس أهدافهم تفتيت وحدة الأمة وتجزئتها لتستمر لهم التبعية أطول وقت ممكن لو استطاعوا .

فشرعوا يدرسون تاريخ اللغات ونشوءها وأخذوا لغاتهم مثلا وتاريخها دليلا .. إذ إن اللغة كائن نام متطور ومن طبيعتها إذا وصلت

---

(١) اليمامة ١٣٩٧/٥/٨ هـ - ١٩٧٧/٥/٦ م - عدد ٤٤٩ .

www.mtenback.com

إلى مرحلة معينة من مراحل النمو اللغوى أن يحصل لها – سنة الله فى خلقه – نمو وارتفاع فى جانب ويبقى جانب آخر دون مستوى الجانب الأول فطبيعة الكائنات الحية التفاوت فى النمو والحياة .

وهنا تحدث ثنائية التعبير اللغوى فتختلف المستويات الفكرية للناطقين باللغة وتختلف القدرات الشخصية على التعبير المؤثر فيصطنع قوم أسلوبا خاصا فى الكلام والنطق وفى الكتابة إن كانت اللغة قد وصلت إلى مرحلة التدوين ويصبح هذا النمط من الحديث له عناصر مميزة يتكلم به علية القوم وارستقراطية المجتمع ويتحدثون به فى المجالس العامة والنوادى وجسيم الأحداث ويصبح فى ذلك النمط من اللغة روح مؤثرة جذابة مما يشجع على التأنق فيه ومحاولة تجويده كلما أمكن وفرضه فى أسلوب خاص يسمو به إلى أعلى وعلى مراحل صاعدة حتى تستقطبه فئة قليلة من المجتمع تعتبر هى القمة والمركز ، فيحاول كل الأفراد محاكاتها فى هذا الأسلوب .

وفى ظل هذا النوع من الحديث تنمو لغة أخرى غير مكتوبة – نقصد بها اللهجة كما يعبر اللغويون العرب – تنشط مع العامة وعلى مستوى المجتمع ذى الكثرة العددية الغالبة ، وتأخذ فى البداية مسارا آخر غير مسار النوع الأول الذى يسير فيه علية القوم والمثقفون وهو الصعود إلى أعلى فى اتجاه رأسى .

أما اللهجة فتأخذ الامتداد الأفقى على طول مساحة القطر وانتشار الأمة ، ولا يلبث هذا المسار أن يصطدم بظروف خاصة توجه مساره

www.mtenback.com

إلى الرقى والصعود ويجد نفسه مضطرا إلى الخروج عن دائرة الظل ومحاولة المشاركة ثم التحدى على درجات السلم الصاعد ، وهنا تقوم ثنائية التعبير وتتميز حتى تظهر بوضوح وتتجلى .. إلا أن الأمر لا يستمر طويلا بل تحدث ظروف تجعل إحدى هاتين الظاهرتين اللغويتين تقف عاجزة عن مجاراة الأخرى وغالبا ما يكون النصر للعامية .. لكنها لا تنفصل بصفتها الأولى بل باكتسابها خصائص اللغة الأدبية وانفرادها بما يجعلها لغة فن وعلم وأدب يتحدث بها العلماء والأدباء دون أن يشعروا بما تفرضه عليهم من خصائص انفردت بها خلال فترة النمو وخلال الحضانة مع اللغة الأصلية وفى أثناء الصعود المتداخل مع أصلها الذى انفصلت عنه واستقلت منه .

هذا ما يؤكده نشوء اللغات وتاريخه وهذا ما حدث فى اللغات الأوربية المعاصرة التى تطورت عن اللغة اللاتينية القديمة عندما قامت خلال العصور الوسطى دويلات أوربية كان أساسها المدينة فأصبحت لكل دولة لغتها الخاصة التى تمت إلى الأم بصلة ومثل ذلك حدث فى اللغات السامية التى انقسمت إلى عدة لغات باد أكثرها وانمحى وتميزت كل لغة من هذه اللغات بميزات خاصة عن أختها مع احتفاظ كل منها ببعض صفات الأم الأولى على حد زعم اللغويين ومفسرى النقوش التى وجدت حديثا ..

وهذا كله يمكن أن ينطبق على اللغة العربية ولكن التلازم الشديد بين هذه اللغة والدين أعطاها حصانة خاصة ومناعة طبيعية إذ جاء الله بالإسلام واختار العربية لغة كتاب ومعجزة رسول باقية مستمرة إلى

www.mtenback.com

أن يرث الله الأرض ومن عليها كما وعد بذلك فى كتابه ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ .

بينما كانت معجزات الرسل قبل ذلك لا تقوم على اللغة كحجة ومعجزة بل قامت بعضها على علوم كعلوم الطب ، والطب لا يحتاج إلى لغة بيانية بل هو ممكن بأى لغة وممكن بأى اصطلاح يتفق عليه ، وبعضها قامت على علم كعلم السحر وكانت معجزة الرسول من جنس ما برع به قومه والسحر يعتمد على الدقة والسرعة والخفاء وكلها معجزات وقتية زالت بزوال ظروفها وملابساتها ، هذه أشهر الأديان التى سبقت . ثم جاء الإسلام الذى اختاره الله للبقاء والخلود وللناس كافة وجعل لمعجزة النبى محمد من البقاء والاستمرار والخلود ما لهذا الدين .

حيث قامت المعجزة على الجانب البيانى والتأمل والتدبر لهذا الجانب وبلسان عربى مبين . وبهذا وحده خرجت اللغة العربية من دائرة اللغات المنحلة وشذت عن القاعدة اللغوية التى يلهج بها اللغويون ووقفت فى سبيل تقدم العامية تحبط مساعيها وتحد من انتشارها ووقفت فى حدود مرحلة فكرية معينة من مراحل الفكر لا يتجاوز مفكرو الأمة هذه المرحلة حتى تسيطر عليهم أهمية هذه اللغة ويؤمنوا بضرورة بقائها واستمرارها كمركز للوحدة وعنوان للدين .

وجعلها الله لغة الدين والعبادة فكل ضرر أو جهل بها يؤدى إلى البعد عن روح الإسلام ويقف حائلا دون فهمه والتأمل والتدبر هذا

www.mtenback.com

هو الجانب الدينى من اللغة .. أما الجانب الآخر فقد كان أعداؤنا أكثر تقديرا له وادراكا لخطره وقيمته للعرب والمسلمين .

إذ قدروا أن العرب لو أدركتهم النهضة والتحمت وحدتهم على أسس متينة من الدين واللغة لصاروا خطرا يخشى منه ، واستطاعوا أن يعيدوا مجد الأمة الإسلامية الأولى وربما الخلافة الإسلامية التى لم تنم للمستعمرين جارحة حتى قضوا عليها قضاء مبرما ، فهبوا يدركون العرب المسلمين بأفكارهم المحمومة قبل أن تدركهم النهضة المرتقبة وقبل أن يصحوا من غفلتهم ، وأسرعوا ينثون سموم القوميات القطرية ويثيرون النعرات العرقية وينسبون كل أمة إلى أصل غير أصلها ولغة غير لغتها وعندما واجههم الرفض القاطع لنظرياتهم المزعومة عمدوا إلى شىء آخر يجدونه أقرب وأسلس وأحب إلى الناس فشرعوا فى نشر العامية والاعتناء بها وأخذوا يؤلفون المؤلفات بهذه العامية ويترجمون بها الكتب أيضا وينعون على أهلها إهمالهم لها وازورارهم عن جانبها فكان لصيحاتهم صدى استجاب له بعض المتسرعين من أبناء اللغة الذين لم يلبثوا أن أدركوا الخطأ الذى وقعوا فيه عن حسن نية ولم يكملوا الرحلة فرجعوا وتحقق وعد الله بحفظ لغة كتابه وعنوان وحدة العرب والمسلمون المرجوة ، وأخفقت الدعوة إلى العامية إخفاقا ذريعا وأصبحت المؤلفات التى ألفت بها أثرًا بعد عين ..

واليوم نسمع ونرى لونا آخر لتلك الدعوة تحت ستار الأدب الشعبى فى العالم العربى وهذه إحدى الجامعات العربية تنظم أول مهرجان تجمع كبير لدراسة الفولكلور العربى الشعبى وهو أمر معقول إن اتخذ

www.mtenback.com

الحيز المناسب له واقتصر على تسجيل النماذج المشهورة فى كل قطر عربى لتبقى تدل على خطوة من خطوات التطور اللغوى والتسلسل الطبيعى بنمو اللهجات ليستفيد منه اللغويون والباحثون المهتمون بالأصوات وما يجرى عليها من تغيير أو انتقال وفى حدود معقولة .

لكننا نشفق أن يتحول الأمر إلى اهتمام مركز على هذا النوع يصاحبه موجة إعلامية تعطيه أهمية أكبر مما يجب فيتحول إليه اهتمام الناس وعلى حساب اللغة الفصحى وعيبنا دائما أننا نبالغ فى كل جديد وننـدفع إلى كل حادث ونعطى أحكاما مسبقة على الصورة الذهنية قبل تجسيمها على الواقع .

وتضيق عندنا منطقة الوسط حتى تصبح كخصر الحسناء ..

www.mtenback.com

لماذا تهتم الجامعات الغربية بدراسة الأدب العامي ؟[1]

قبل فترة كانت صفحات « الجزيرة » ميدانا لمناقشات دارت بين بعض المحررين وقراء « الجزيرة » حول رأى الكاتب يحيى المعلمى فى الشعر النبطى ، ذلك النوع من الشعر المعروف فى بعض مناطق الجزيرة العربية ، ورأى المعلمى لا يخالفه عليه أمثاله ممن ثقافتهم وتجربتهم ونظرتهم البعيدة ومتابعتهم للحركات الأدبية والثقافية تؤهلهم لمعالجة مثل هذه القضايا الأدبية ذات الأبعاد والحساسيات التى يجب علاجها بموضوعية واستيعاب لما يترتب عليها اليوم وغدا .

ويبدو أن الحوار بدأ على الهامش حول هذا النوع من الشعر وكاد أن ينتهى عليه ، إذ إن صاحب الرأى الأصيل – المعلمى – وبعض الذين قد يكون لهم رأى فى القضية لم يقولوا شيئا فيما اطلعت عليه على الرغم من اقحام بعض المناقشين لأسمائهم – كحمد الجاسر وابن خميس – ولعل بساطة العرض للموضوع ، وتقدير عاطفة العاشقين والهواة لهذا الشعر – وهم كثرة لا يستهان بها – جعلت هؤلاء يلتزمون الصمت ويتجاهلون الموضوع بدءا وانتهاء .

---

(١) الجزيرة ١٤٠٢/٥/٣ هـ – ١٩٨٢/٣/٢٨ م – عدد .

www.mtenback.com

لولا أن كاتبًا تناول موضوع الشعر النبطى ببعد آخر فى مقال كتبه فى جريدة « الرياض » « حروف وأفكار » ليعلق فيه على بعض ما كتب حول هذه القضية ويخص مقالا كتبه القارئ أحمد الصالح سخر فيه على حد قول الكاتب من جامعة منحت درجة الدكتوراه فى هذا الشعر لباحث سعودى كما سخر من شخص الباحث أيضا .

ولا شك أن من يتصدى لدراسة القضايا الأدبية والفكرية يجب أن يبتعد عن أسلوب السخرية وأن يدير حواره بجدية وتجرد كامل ، فالجد فى معالجة الفكرة فى حد ذاتها هو المطلوب ولا أظن أحدا يخالفنا فى هذا ولو على الأقل نظريا ، فإذا سلمنا أن أسلوب السخرية أمر مرفوض علميا ، وجعلنا الهدف هو معالجة الفكرة المطروحة باستقلال وتجرد مبتعدين عن خصوصيات الإنسان وشخصيته ، إذا سلمنا بكل هذه البديهيات فإن الحكم على من يتجاوز هذه الحدود يختلف باختلاف علم المتجاوز وثقافته وتجاربه فى الحياة وباختلاف مركزه الأدبى والعلمى أيضا ، وإذا كان الكاتب قد استهل حديثه بالألم والامتعاض من اللهجة الساخرة التى تناول بها القارئ أحمد الصالح شخص الباحث ورسالته والجامعة التى منحته هذه الدرجة العلمية على بحث هذا النوع من الشعر فهل استطاع هو أن يتحاشى هذا الأسلوب من جانبه وهو الكاتب والأستاذ الجامعى ذو المنهج والتخصص الأكاديمى . حروفه تقول : إنه لم يبعد كثيرا عن أسلوب السخرية التى يرد فيه على القارئ أحمد الصالح ، وإذا كنت لم أطلع على أطروحة الدكتور الباحث ، موضوع الحوار ، ولا على منهجها

www.mtenback.com

العلمى ، فالكاتب عدل وشهادته مجزية والدكتور الباحث محمول على سبعين محملا من الخير عملا بالأثر الذى لا تأخذه به الجامعات الغربية ، لهذا فإنى أبادر وأقول :

إن هذه الكلمة لا تتناول رسالة الدكتوراه موضوع الحوار ، وأنا لم أرها ولم أتصورها والحكم على الشيء فرع عن تصوره كما أننى هنا لا أتناول الجامعة التى درس فيها الباحث ..

وبحث أى ظاهرة لغوية فى رسالة دكتوراه أو غيرها أمر لا غبار عليه ولا ضير فيه سواء فى الشعر النبطى أم العربى ما دام الهدف هو المعرفة لذاتها وفى حدود البحث المنهجى ..

لكن أود أن أناقش نقاطا أوردها الكاتب فى حدود ما أعرف وفى ضوء تجاربى المحدودة .

أولاً : ارتكز دفاع الكاتب على ركيزتين ، الأولى الدفاع عن سمعة الجامعة ومركزها العلمى ، وتقاليدها الراسخة .

الثانية : جهود الباحث التى وصفها بأنها جبارة فى إكمال الأصول النظرية للرسالة .

ولا شك أن التقاليد العلمية للجامعات الغربية ذات المستوى الجيد ومنها جامعة بيركلى شيء لا جدال فيه وأن لها تقاليدها وسمعتها العلمية التى لا تتنازل عنها كثيرا وأهمها بناء الشخصية العلمية للباحث الغربى الملتزم بالتقاليد والثقافة الغربية نصا وروحا وما يتصل بالحضارة الغربية

www.mtenback.com

من مثل وأخلاق ، وهى بهذا الجانب لا تقبل الحلول الوسط ولا تتساهل فى شىء ، أما ما يتناول تراث الحضارات الأخرى التى تدرس فى هذه الجامعات كالتاريخ واللغات والأديان فللجامعات تجاه طلاب هذه العلوم مواقف أقل تشددا ، وغالبا يمر الباحثون فى هذه العلوم مر الكرام .. خصوصا إذا كانوا من غير الغربيين ، وقضية التشجيع والدفع المستمر من قبل هذه الجامعات لطلابها وبالذات العرب منهم على أن يتخصصوا فى موضوعات شبه مرفوضة أو مثيرة للجدل فى المجتمعات التى ينتمى إليها هؤلاء الطلاب أمر معروف أيضا ، وبعض هذه الجامعات تلجأ إلى اقناع الطلاب الشرقيين بتغيير تخصصاتهم التى قدموا للبحث فيها أو تغيير الموضوع الذى يختارونه قبل التحاقهم بالجامعة ليخدم البحث هدفا من أهداف الجامعة فى حين يكون متفقا مع تقاليدها الراسخة وسياستها التعليمية بغض النظر عما يعود على الباحث أو مجتمعه من نفع .

ولكنها لا تبخل على الباحث الذى يأتى إليها بفكرة واضحة وهدف محدد ولا تقف فى طريقه إذا رأت منه التصميم والقدرة على الاستيعاب والفهم للموضوع الذى يريد درسه بل تحترم هذا الطالب وتسعى جاهدة لمساعدته .

أما ذلك المتردد أو ذو الفكرة غير الواضحة عما يريد من تخصصه فى موضوع ما ، فهى تقدم له موضوعا ورأيا وتبذل فى سبيل إقناعه بصواب رأيها وصلاحه وسائل مقنعة للطلاب ، مثل أن تلقى فى روعه أن الموضوع الذى لا تستفيد الجامعة من بحثه قد طرق كثيرا

www.mtenback.com

أولا جديد فيه أو أن بحثه يأخذ وقتا أطول وجهدا شاقا ويتطوع المشرف بعد مشاورة رئيس القسم بتقديم عدد من البدائل فى الاختصاص نفسه مع تغيير الموضوع أو تغيير التخصص والموضع معا ، ويوضع فى الاعتبار قبل كل شىء الفائدة التى ستعود على الجامعة من هذا البحث والنقاط التى سيطرقها الباحث ومدى فائدتها للجامعة طبقا للمنهج والأسلوب العلمى السائد فيها .

وإذا كانت الظاهرة المراد بحثها عويصة خصوصا ما يتعلق باللغة فهم ينتقون من أهل اللغة ذاتها الطلاب الأذكياء والجادين فى الدراسة وذوى التفكير المنظم الذين يتوقعون فيهم القدرة على الاستنتاج وإبراز الحقائق التى يريدون الوصول إليها وهم بذلك يصلون إلى هدفين : تحقيق النتائج التى يريدون الوصول إليها ثم يتجنبون المزالق الخطرة التى قد تقود إليها هذه الدراسة ويلقون بتبعاتها على الطالب وحده ، والشعر النبطى ظاهرة بدأت تهتم بها الأقسام الشرقية فى هذه الجامعات وتود لو تحول كل طلابها العرب إلى دارسين لأصول هذه الظاهرة وعلاقتها باللغة العربية وظروف نشأتها وتكوينها ، وجامعة بيركلى وغيرها من الجامعات الغربية تهتم بهذه الظاهرة وبظاهرة العاميات فى جميع أنحاء العالم العربى ، وبطلابها ومعظمهم يدرسون قبل التخرج من الجامعة منهجين للغة العربية ، اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة ، وحتى نكون أكثر موضوعية نقول : إن الجامعات الغربية تتبع منهجًا حديثًا لدراسة اللغات صوتيا ولغويا وتبحث على ضوء هذا المنهج اللغة واللهجة وصلة كل منهما بالأخرى وفى معظم الجامعات الغربية أقسام

www.mtenback.com

متخصصة فى دراسة علم اللغويات الحديثة ، إلا أن هذه الظواهر العامية واللهجات المتعددة فى اللغة الواحدة لا تدرس كأدب أو فن – فيما نعلم – وفى جامعات المملكة أكثر من أستاذ كانت رسائلهم عن ظواهر ولهجات محلية بحتة ، وإذا كانت رسالة الدكتور الباحث من هذا النوع فهى إضافة جيدة وعمل يستحق التقدير .

لكن الكاتب يرى أن الشعر النبطى أدب كغيره من الآداب ، فهو يقول مثلا : « إن الآداب مستودع لهموم الإنسان وأحزانه وآماله وطموحاته » ونحن نتفق معه على وظيفة الأدب هذه كالأدب العربى والروسى والفرنسى والإنجليزى وكل الآداب العالمية ، لكن نحن هنا بصدد قضية خاصة لا يجوز فيها التعميم هى الشعر النبطى وماهيته هل هو أدب أم لا ؟ .

يبدو أن الكاتب الفاضل متحمس لهذا الشعر فهو يقول : « السؤال المهم هنا هل يستوعب الشعر النبطى هموم الإنسان الذى يعبر من خلاله وهل هناك جمهور يتذوق ويستمتع بهذا اللون من الأدب ..؟ إن الإجابة على هذه الأسئلة تحسم الموقف لصالح القضية التى نطرحها هنا ، انتهى ..

هذا التسليم المطلق والحسم فى المواقف أمر لا تعرفه القضايا الأدبية كلها فى الآداب المعروفة فضلا عن هذا النوع الذى لا يزال اطلاق لفظ الأدب عليه موضع خصام وفضلا عن كونه لا يزال مجهولا حتى الآن عند كثير من سكان المملكة ولا يكاد يعرف خارجها إذا استثنينا بعض

www.mtenback.com

مناطق من الخليج ، وما دامت قضية هذا الأدب قد حسمت بهذه الجدية ، فلا بأس أن نسأل الكاتب منهم الذين حسموا الموقف لصالح القضية وأين الشق الآخر من هذا الأدب وهو النثر الفنى ، وهل قضيته قد حسمت أيضا ؟ ثم من هو هذا الإنسان الذى يعبر بهذا الأدب عن همومه ، وأحزانه وآماله .. وطموحاته .. هل هو الإنسان الذى عاش عصور الانحطاط الأدبى والانحدار الفكرى والأمية المسيطرة ، ولم تتهيأ له أبسط الوسائل الثقافية مع وجود عاطفة متوقدة وروح شفافة وقلب نابض بالحياة فاحتاج أن يعبر عن خلجات نفسه ومكونات فؤاده – والحاجة أم الاختراع – فعبر عن حاجاته البسيطة وتصوراته الساذجة بأسلوب متواضع وتفكير ضيق ، أم هو الإنسان المثقف الواعى الذى يعيش عصر التحدى الكبير لتاريخ أمته ودينه وثقافته ومبررات وجوده ، ويرى موقفه المتخلف من ثقافة العالم من حوله فى حين أنه ينهل من مهيع الثقافة ويمكنه أن يختار أرقى الأساليب وأجمل الفنون الأدبية للتعبير عن همومه وآماله وأحزانه وطموحاته بلغة لا تخضعها الحدود الاقليمية الضيقة ، وقد يكون هذا الإنسان قد قضى شطر حياته فى البحث والتحصيل وطمحت به الآمال إلى أن يدرس فى السربون أو اكسفورد أو هارفارد أو بيركلى أيضا طمعا فى أن يشارك فى رفع أدب أمته العريق إلى آفاق واسعة ورحاب عليا ، ويمثل دوره الإنسانى وموروثاته الحضارية ويسهم مع أمثاله من مثقفى العالم وموهوبيه بأدب رفيع ولغة راقية لكنه يكتشف فى آخر المطاف عبقرية العامية السائدة فى جزء من بلاده على استيعاب هموم الإنسان وآلامه وآماله وطموحاته .

www.mtenback.com

أى هذين النوعين من الناس يصلح أن يتخذ من الشعر النبطى وسيلة أدبية للتعبير عن الهموم والآمال .. إلخ .. بل الأمَرُّ من ذلك أن الكاتب يرى أن : « قراءة الجذور التاريخية تساعد على فهم وبلورة تصور نظرى واضح لشخصيتنا القومية ولهمومنا المعاصرة ولازمه جيلنا المعاصرة » . استميح الكاتب الكريم عذرا أهو جاد فيما يقول ؟ وهل يعتقد حقا أن جذورنا التاريخية لابد أن تدرس على ضوء الشعر النبطى ؟ وهل شخصيتنا القومية وضحت وتشكلت بهذا الشعر ؟ .

إن الإيقاعات الجميلة لهذه المعانى ، القومية ، التاريخية ، المعاصرة ، لا تعفى أحدا من ممارسة دوره ومسئوليته تجاه حضارته الإسلامية والعربية سيما طليعة الشباب الواعى الذى يفترض فيهم شمول النظرة وبعد الاتجاه ، والسلوك الحذر فى خوض هذه القضايا الحساسة أمر واجب ، والدعوة لشعر عامى معين تنطوى على أخطار أسهلها تحريك المجاراة فى نفوس أبناء المناطق الأخرى من المملكة الذين لا يفهمون الشعر النبطى ولهم فى الوقت نفسه نوع آخر من الشعر الشعبى لا يقل اهتمامهم به عن اهتمام غيرهم بما يستسيغون ويفهمون ، ولو اشتغل كل بما يسود في دائرته الضيقة لتشتت الجهود التى يجب أن توجه لخلق أدب عالمى ينطلق من الجزيرة اليوم كانطلاقته بالأمس .

الجامعات الغربية واهتمامها باللهجات :

أما إشادة الدكتور بجامعة بيركلى وغضبته المضرية عندما تجرأ أحد مواطنيه فمس سمعتها لعدم تقديره فيما يبدو معجزات الجامعات

www.mtenback.com

الغربية وخلقها لبعض الطلاب العرب خلقا آخر فأمر هين ، لكن المهم هو الاستشهاد بوصيفتها هارفارد التى صرفت الأموال على فتاة أمريكية وفرغتها لدراسة الشعر النبطى ، وهذا هو بيت القصيد ، ونحن واثقون أنه لو لم تجد جامعة بيركلى شابا جلدا بحاثه تقدم له بلاده المال ليدرس فى هذه الجامعة هذا اللون من التخصص لفعلت مثلما فعلت هارفارد لكنها وجدت من يوفر عليها المال والمغامرات ويكون قوله فصلا وصوابا فى عامية لا تحسنها الشقراء المرسلة من هارفارد ، ولو توقف الدكتور قليلا عند هذه الجامعة التى خصصت المال وفرغت الباحثة للشعر النبطى وأفاد قراءه من هى اليد العليا التى تدير سياستها ومنهم الأكثرية من أساتذتها وطلابها وما اهتماماتها وميولها ؟ لعرف القراء لماذا اهتمت هارفارد بدراسة الشعر النبطى ولماذا خصصت المال وأرسلت الفتاة الحسناء إلى الرياض لدراسة هذا الشعر وهى ليست « ابنًا من أبناء هذا الوطن » ومن يدرى فقد تكون فعلت هذا من أجل الحفاظ على « جذورنا التاريخية » أو لعلها فعلت ذلك للبحث عن حلول معقولة « لهمومنا المعاصرة ولأزمة جيلنا المعاصر » .

ليت الكاتب وهو يعرف أسبابا أخرى – غير اهتمام الجامعات وقاعات البحث الأكاديمى بهذا اللون من الدراسات – أوضح تلك الأسباب التى جعلت الجامعات الغربية تركز اهتمامها على دراسة العاميات فى البلاد العربية وبالذات الجزيرة العربية ، فنحن لم نسمع أن هناك جامعات خصصت الأموال وفرغت الباحثين لدراسة العامية التركية أو الفارسية والسواحلية والازبك وغيرها وهى لغات « أم لها

www.mtenback.com

شعر شعبى وآخر فصيح » ومن يتكلم هذه اللغات فى بلدانها أضعاف من ينظمون الشعر النبطى فى شبه الجزيرة أو يفهمونه بل لماذا لم تهتم هذا الاهتمام بلغاتها ولهجاتها الشعبية ، ولماذا لم تخصص الجامعات الإنجليزية مثلا الأموال وتفرغ الباحثين لأدب « القيلك » لغة الاسكتلنديين الأصلية التى ينتمى إليها ستة ملايين من المواطنين البريطانيين ولماذا لم تهتم بأدب وشعر « الولش » التى ينتمى إليها أكثر من ثلاثة ملايين بريطانى .

وقد عشت فى بريطانيا زمنا ولازلت بها متابعا عن قصد اهتمام الجامعات وقاعات البحث الأكاديمى فى اللغات المحلية واللهجات المتعددة فلم أسمع برنامجا مذاعا أو متلفزا فى هذه اللغات ولم تنظم محاضرات وندوات فى قاعات البحث عن هذه اللغات ، ولم أقرأ صفحة واحدة أو صفحات فى أى جريدة يومية مخصصة للأدب الشعبى ، ولم أسمع دعوة إلى إحياء هذه اللغات واللهجات .

وبالمقارنة فاهتمام الجامعات الغربية بالعاميات واللهجات العربية أمر معروف والكاتب الفاضل يتخذ هذا الاهتمام دليلا على أهمية ما يقول ولعلمه فهناك عدد من المؤلفين والمؤلفات عن عاميات الجزيرة العربية والخليج أهمها كتاب جونستون وهو منشور ومعروف عن لهجة الساحل الشرقى للجزيرة العربية ومنهم أستاذ لنا أمريكى الجنسية يبحث منذ أكثر من عشر سنوات فى عاميات جنوب غرب الجزيرة أى الجهة المعاكسة للموقع الذى اختار جونستون عاميته – وبحثه عن لهجات جيزان وعسير والقنفذة ووادى الدواسر ، والمقارنة بينها وبين

www.mtenback.com

بعض لهجات شمال غرب المملكة وهذا الأستاذ يتكلم العربية الفصحى كأحد أبنائها وهو يعمل فى المملكة منذ أحد عشر عاما ويجيد عددا من اللغات غير العربية منها الفارسية والعبرية وكتابه سيصدر قريبا إن لم يكن قد صدر ، وبهذا تكون كل عاميات الجزيرة قد نالتها عناية الغربيين وغطت احتياجاتنا – الشرق جونستون والوسط فتاة هارفارد والغرب « ثيودور بروهاسكا » .

لكن دراسات الغربيين علمية بحتة ومكتوبة باللغة الإنجليزية ولم تكن أدبا ولا فنا ، وإنما تتبع ظواهر لهجات مختلفة وتحاول الوقوف على الأصول اللغوية لبعض الاستعمالات سواء ما ينطق بنظام الجملة أو المقطع من الجملة أم الكلمة وما يتعلق بنظام التصريف والاشتقاق ، وهذا لا نجده عند الكثير ممن يدرس العاميات العربية من العرب ، أى أن العرب الذين يدرسون العاميات ويكتبونها ستكون نتائج دراساتهم مهما اختلفت مقاصدهم ذات شقين :

الأول : تفتيت اللغة الفصحى وتعويد الناس على قراءة العاميات وكتابتها التى لا يزال البعض لا يحسن كتابتها أو قراءتها قراءة صحيحة ومن لا يحفظ القصيدة النبطية لا يستطيع قراءتها مكتوبة حتى الآن .

الشق الثانى : هو تحويل الملكات الإبداعية لدى الشباب إلى الشعر العامى وممارسته واللهو به عن الشعر الفصيح والأدب الراقى .

ونختم هذا المقال بالسؤال التالى : ما الفائدة التى يمكن أن تعود على باحث من وسط عامى يذهب إلى أوروبا وأمريكا يحمل بضاعة

www.mtenback.com

مجتمعه العامى ويقضى وقته يعرض هذه البضاعة العامية على أستاذه وجامعته ويعلمهم خفاياها وأسرارها ليستفيدوا هم قبل أن يستفيد هو ثم يعود بعد أن يمنح الدكتوراه فى هذا التخصص إلى مجتمع كل أفراده من النساء والأطفال والشيوخ والأميين يحملون أكثر من شهادة دكتوراه فى هذا التخصص دون إضاعة وقت أو صرف مال .

وأرجو ألا تفهم هذه الكلمة على أنها تعصب ضد الجامعات الغربية أو نكران لمنهجيتها ، فأنا أحد طلابها ومعجب كل الاعجاب بمنهجيتها وقدراتها على تنمية مواهب الطالب وتأهيله للبحث النافع ، ولكن المهم هو الوعى لدى الطالب واختيار الموضوع الذى سيبحث فى هذه الجامعات وهو مسئولية الباحث وحده ، والواجب عليه أن يختار ما يخدم تراثه وحضارته وما يعود على مجتمعه بالنفع ، وهذا هو ما نريد ممن يذهب إلى الغرب للدراسة ، ولابد أن أشير هنا أننى لم أطلع على كل ما كتب عن الموضوع حيث لا يتهيأ لنا ذلك بانتظام .

www.mtenback.com

ما الاسم المناسب لغير الفصيح من الأدب ؟[1]

من المسلم به لدى المشتغلين فى العلوم الإنسانية ولدى المتأدبين وأهل الفكر أن كل علم من العلوم لابد له من حد ومصطلح يجمع كل صفاته الخاصة به ويمنع عنه دخول ما سواها وقد أدرك المشتغلون فى العلوم والآداب منذ القدم أهمية التعريف ودقته وصدق التسمية وانطباقها على المسمى ، وجعلوا لكل فن اسما جامعا مانعا كما يقولون حتى لا يتشعب المراد وتدخل فيه خصائص وصفات ليست له .

ومشكلة المصطلحات فى الوقت الحاضر مشكلة يعانى الناس منها لكثرة المصطلحات العلمية والفنية والأدبية الحادثة فى حياتنا وتعددها وعدم الدقة فى استعمالها وغموض الكثير منها وبُعده عن بيئتنا الثقافية ، وأقرب الأمثلة هى المصطلحات السياسية والجغرافية والايدولوجية التى نسمعها ونرددها فى الحديث والكتابة ونستعملها أحيانا فى معنى بعيد عن مدلولها ومعناها المراد منها .

وقد نُعْذَر فى الخطأ إذا كان المصطلح من وضع غيرنا ووافدًا علينا لكن ما عذرنا إذا اختلفنا على شيء خاص بنا ونابع من ذاتنا ولا مجال

---

(١) الجزيرة ١٤٠٥/١١/٨ هـ - ١٩٨٥/٧/٢٥ م - عدد ٤٦٨٣ .

www.mtenback.com

فيه للخطأ أو التشعب الذى قد نتسامح فيه بعض التسامح لو كان من غير بيئتنا .

ما عذرنا مثلاً إذا اختلفنا حول مسمى الأدب غير الفصيح وهو ألصق الأشياء بنا وأخصها فى حياتنا ومع هذا فلا نزال مختلفين حول الاسم المناسب له الذى يجب أن نجمع عليه ونختاره .

وما كنت أريد ابتداء هذا الرأى ولا التحدث عن مصطلحات وأسماء الأدب الشعبى لسببين اثنين ، الأول أننى أعلم أن الجزيرة التى تتيح لى الفرصة فى الاطالة على قرائها بعض الوقت لا تحبذ الخوض فى مثل هذا الجانب الذى طال الحديث عنه بلا فائدة ، والأولى أن احترم رغبتها ولا أتكىء كثيرا على كرمها ومجاملتها فأقول وأكتب ما لا ترتاح له .

الأمر الثانى : أن قولى قد يكون مجروحًا فى هذا المعنى ولا أظن الكثير من محبى الأدب الشعبى وأنصاره يقبل آرائى التى فيها شىء من التحفظ على الأدب العامى شكلاً ومضمونًا ، وما كنت أكتب عنه لولا أن الحميدى الحربى كتب فى صفحته فى الجزيرة الجمعة الماضية كلمة شكا فيها الاختلاف حول مصطلح الأدب الشعبى كما يحب أن يسمى وطلب رأيا يجمع عليه الناس ، فأحسست فى كلمته روح الصدق وطلب الصواب .

وأدركت أنه سما إلى رحاب البحث عن الحقيقة التى يسعى كل إنسان فى سبيلها ويطلبها أنىَّ كانت : يقول فى كلمته بعد أن أورد

www.mtenback.com

اختلاف الناس حول الشعر العامى وهل هو النبطى أو البدوى أوالشعبى أو العامى ؟ وأى هذه الأسماء يمكن أن يتفق عليه ليكون هو المصطلح الوحيد للأدب العامى ؟ يقول : (وعندما أطرح القضية من جديد فليس رغبة فى الجدل بل على العكس تماما فأنا وغيرى من المهتمين بهذا الأدب نريد أن نصل إلى نهاية مقنعة لهذه القضية وإن كنت مع من يسميه الشعبى وهذا لا يعنى أننى لن أقتنع برأى الطرف الآخر فيما لو كان مقنعا ... فإننا نريد إجماعا على تسمية هذا الأدب حتى نتمكن من تقديمه على الوجه الذى يرضى عنه الجميع) .

هذا هو رأى الباحث عن الصواب الذى لا يصر على رأيه وقناعته إذا قام الدليل على خلاف ما يذهب إليه ولا يرفض رأى الطرف الآخر بل يحترمه ويقتنع به إذا كان صوابا . ومن حسن الحظ أن الحديث لن يكون عن الأدب العامى ولا عن قيمته ولا عن فائدته وإنما سيكون بحثا عن مصطلح يتفق عليه ، ولن يتجاوز حديثى هذا المعنى ، فالكاتب أفسح المجال للاجتهاد ووعد بقبول وجهة النظر ورأى المجتهد وسوف أتحدث عن الأسماء التى ذكرها الحربى وهو شاعر من الشباب عرف الناس شعره الجيد وأثنوا عليه قبل الصفحات الشعبية وقد كان شعره موهبة وطبعا ، ومثل الحربى آخرون سبقوا بمواهبهم وشعرهم شعراء الصفحات الشعبية كما سبق أو العتاهية عروض الخليل بن أحمد وأبحره ، ولكنهم لم يحتجوا بالسبق على أدب الصفحات الشعبية كما احتج أبو العتاهية ولم يرفضوا التعاون بحجة سبقهم الصفحات التى تهتم بالتراث الشعبى ، وقبولهم لم يكن عن قناعة بما ينشر ولا رغبة فى

www.mtenback.com

الشهرة والظهور كغيرهم الذين يبحثون عنها لأن لدىَّ الشاهد من أقوالهم أنهم ليسوا راضين ولا قانعين به . أما الشهرة كشعراء فقد اشتهروا قبل الصفحات الشعبية ولا أحسب قبولهم الأشراف إلا إنقاذا لما يمكن انقاذه بعد أن طغى سيل الشعر غير الفصيح وأصبح شعراؤه يعدون بالمئات .

نأتى إلى أسماء الشعر والأدب غير الفصيح فنجدها كثيرة ومتعددة ومختلفة فى كل البلاد العربية بينما هى فى الجزيرة والخليج تكاد تنحصر فى أربعة أسماء هى : النبطى والبدوى والشعبى والعامى وسوف أحدد كل واحد من هذه الأسماء لعلنا نصل إلى الاسم الذى إذا أطلق على غير الفصيح من الأدب انطبق عليه كل الانطباق وحدّه حدا لا يختلف عليه الكثير من الناس .

النبطى

من أقدم الأسماء التى أطلقت على الشعر غير الفصيح ، وأنا لا أعرف متى بدأ استعمال كلمة النبطى ولا متى استعملت ولم أقرأ رأيا لأحد يقنعنى بحجة قاطعة متى ولماذا سمى الشعر خاصة غير الفصيح بالنبطى ؟ لكن الذى أفهمه من فحوى التسمية أنه وصف وتمييز للكلام الذى يخرج عن أصل اللغة العربية وقواعدها وأقرب الأعاجم إلى العرب كانوا أهل السواد وأنباط العراق وكانت تنسب لهم كل خصلة لا تنطبق على العرب مثل لا تكونوا كنبط السواد إذا سئل الرجل عن نسبه قال من قرية كذا ، ومثل وصف ابن القرية لبعض قبائل العرب بأنهم عرب

www.mtenback.com

استنبطوا إذن التسمية تشبيه لكلام العامة الملحون بكلام النبط تمييزا له عن كلام العرب الفصيح واستهجانا لاستعمال الشعر غير المعرب فى بداية الأمر وقد شاع الاسم فى الماضى ولكن لا يجوز اطلاقه اليوم على الأدب غير الفصيح وهذه هى الأسباب :

أولاً : يبدو أن اطلاقه كان على القلة من أهل صناعة الشعر غير الفصيح وقد يكون هؤلاء ممن سكن فى أطراف العراق حيث النبط ، لكن بعد أن انتقل إلى قلب الجزيرة العربية ونظمه العربى البدوى الذى يغلب على مفردات لغته الفصاحة وإن كانت خالية من الإعراب فإن تسميته بالنبطى شىء لا يرضاه العرب ولا يجوز أن توصف به آدابهم وأكثر من يقول الشعر غير الفصيح فى وقتنا الحاضر هم العرب الخلص الذين لا يرقى شك إلى عروبتهم .

الثانى : إن اصطلاح النبطى يعنى به فى الغالب بعض الشعر الذى ينظمه العرب من قبائل شمال المملكة والخليج ولا يطلق الاسم على أدب أجزاء أخرى من الجزيرة العربية فلتلك الآداب غير الفصيحة أسماء أخرى غير النبطى .

وتسميته بالنبطى تسمية بعيدة ومحصورة فى جزء منه ولا تصلح أن تكون اسما جامعا لكل أجناس الأدب غير الفصيح فى الجزيرة العربية لأنه لا يجمع كل الآداب غير الفصيحة ولأن إطلاقه كان عيبا ألصق فى كلام العرب الذى خلا من الاعراب وشبه بالكلام

www.mtenback.com

النبطى وهو بعيد عنه على الرغم من عجمته ولحنه لكن مفرداته لازالت سليمة إلى حد ما .

البدوى

البداوة ليست لغة ولا جنسا بل هى أسلوب حياة وحرفة عمل وطريق معيشة كان يعيشها قطاع كبير من أهل الجزيرة فى الجاهلية والإسلام وإلى يومنا هذا ويسمى هؤلاء بدوا تمييزا لهم عن القرويين وأهل الاستقرار ، والبدو هم أفصح العرب فى جميع العصور حتى وإن كانوا هم أول من قال الشعر غير الفصيح لكن تسمية الشعر غير المعرب بالبدوى لا تصدق إلا على القليل منه وأكثر الاسماء المشهورة فى الوقت الحاضر وفى الماضى من الشعراء ليسوا من أبناء البادية ولا أظن أحدا يعد بركات الشريف والوقدانى وعبيد الرشيد والقاضى وابن لعبون والهزانى وحميدان الشويعر ممن ينطبق عليهم مصطلح البدو فى الجزيرة العربية حتى وإن فاقوا شعراء القبائل العربية فى الشعر لكن شهرة الشعراء القرويين فى الوقت الحالى أغلب ثم إن شعراء الوقت الحاضر كلهم بلا استثناء من القرويين ولا نجد شاعرا واحدا يزاول حياة البداوة حتى نصف الشعر بأنه شعر بدوى .

إذا التسمية بالبدوى ليست مما يصلح للاجماع .

www.mtenback.com

الشعبى

هذه التسمية هى أحب الاسماء إلى عدد كبير من أهل الاهتمام بالأدب غير الفصيح وتفضيل هذا الاسم على غيره له أسباب لدى محبى هذا الفن ولسنا بصدد البحث عن الأسباب لكننا بصدد البحث عن مصطلح مناسب واسم يطابق المسمى ، فالشعبى بالمعنى القديم الذى هو أجناس مختلفة من البشر لا يصدق على ما نريد منه اليوم والشعبى فى معناه الحديث بعيد كل البعد عن الوفاء بالغرض المطلوب والأهم من ذلك كله أن هناك اصطلاحا متفقا عليه للأدب الشعبى :

أولاً : هو ما جهل قائله وليس هناك شرط أن تكون لغته عامية .

ثانيا : أن يكون شائعا على ألسنة الناس عامة وتعرفه كل طبقات الشعب ، وأن يعبر عن وجدان جماعى .

وليس فى الأدب غير الفصيح القائم الآن شرط واحد من هذه الشروط التى تحدد معنى الشعبى ومدلوله .

إذا لا تصدق تسمية الشعبى على الأدب غير الفصيح الموجود اليوم لعدم توفر حد المصطلح الشعبى عليه .

العامى

هو كل كلام خالف فى بنائه ونظمه وحركاته قواعد الاعراب ونظم اللغة الفصحى التى حددها علماء اللغة واصطلحوا عليها .

www.mtenback.com

والأدب غير الفصيح خالف فى بنائه ونظمه وحركاته قواعد اللغة الفصحى بلا خلاف بين كل المهتمين فى الدراسات اللغوية .

وصفة العامى تنطبق كل الانطباق على الأدب غير الفصيح فى جميع البلاد العربية وليس فى الجزيرة والخليج فحسب ، والعامى يصدق على أنواع ومسميات الآداب العامية الشائعة فى الوطن العربى التى لم نذكرها على الرغم من شيوعها فى أقطار عربية مجاورة مثل الحمينى والزجل والملحون وغير ذلك فكلها تصب فى لغة عربية عامية خارجة على قواعد اللغة الفصحى .

نخلص من هذا إلى أن الاسم الجامع المانع والحد الفاصل للأدب غير الفصيح فى اللغة العربية هو العامى وليس غيره .

فهل تقتنعون بهذا الاسم ؟ وهل يقبل الحميدى الحربى وزملاؤه هذا الاجتهاد ؟ أى مصطلح : التراث العامى ؟ استعدادا لتوحيد المصطلح .

www.mtenback.com

وجاء مصحف المدينة[1]

قبل ما يقرب من ألف وأربعمائة سنة مضت كتب الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه المصحف الأول بالمدينة المنورة ، وأرسل نسخًا منه إلى الأمصار الإسلامية وإلى الفاتحين الذين ساروا على هدى القرآن يحملونه فوق راياتهم يجاهدون فى سبيل إعلاء كلمة الله فى الأرض يحكمون كتابه فى حياتهم ويتبعون هديه ..

فاتخذ مصحف عثمان إمامًا لكل مصاحف الأمة التى كانت تسير مسرعة فى ذلك الوقت إلى آفاق الدنيا المعمورة تنشر دينها وسلطانها وتعلى كلمة الحق فى أرض الله الواسعة ، وسار معها المصحف أينما سارت نسخة وحيدة هى مصحف المدينة الذى اتخذ أساسًا تستنسخ منه مصاحف الأمة كلها .

وقد نسخ منذ ذلك الوقت حتى اليوم عدد لا يحصيه إلا الله ، وكان النساخ يقومون بدور المطابع اليوم فينسخون حاجة الناس من هذا المصحف الذى كان كتاب دين المسلمين وكتاب أدبهم وثقافتهم ، وعليه نشأت علوم شتى تخدمه وتقوم عليه ، حتى راجت حرفة النسخ وكثر الوراقون والنساخ ، وعرف فى كل مصر من أمصار الأمة

---

(١) الجزيرة ١٤٠٥/١/٢هـ - ١٩٨٥/٦/١٩م - عدد ٤٦٤٧ .

www.mtenback.com

نساخها الذين اشتهروا بجود الخط وإتقان صنعة الكتابة وتفننوا بها وأجادوا أنواعًا كثيرة من أشكال الخطوط التى عرفت .

وقد تميز رسم المصحف العثمانى – نسبة إلى مصحف الخليفة عثمان – وحفظ شكل الرسم الذى ارتضاه أولئك النفر من قريش وزيد بن ثابت من الأنصار للنسخة الأولى التى أجمع عليها القراء وشهد بصحة قراءتها جمهور الصحابة رضى الله عنهم ، وقد بقى للمدينة المنورة الفضل فى نشر أول نسخة من القرآن الكريم وتعميمها على الأمصار الإسلامية ولكن دورها لم يكن قويا بعد تلك البداية المؤثرة التى قررت مصير المصحف الإمام ، وجمعت الناس على أخطر قرار اتخذه الخليفة الراشد بل أخطر قرار اتخذ منذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا إذ حفظ الله هذه الأمة من الاختلاف فى قراءة مصحفها وعافاها من سوء التأويل ، ورحم الله عثمان لقد كان فى عمله هذا عظيمًا يستحق من الأمة الدعوة له بالرحمة جزاء ما قدم من حزم فى الأمر وقطع لدابر الاختلاف الذى كاد يقع لولا حزمه وغيرته على أمة محمد فجزاه الله عنها خيرًا ..

صدر مصحف عثمان أو المصحف الإمام من المدينة المنورة لأول مرة فى تاريخه ثم تضاءل بعد ذلك دورها عندما انتقلت الخلافة منها وانتقل معها السلطان ومركز القيادة إلى أجزاء أخرى من العالم الإسلامى ، ولكن الاهتمام بنشر المصحف والعناية به استمرا أنى كانت قوة المسلمين ودولتهم حتى عرفت فى العصور الحديثة آلة الطباعة وانتشرت المطابع فى الأرض وفى العالم الإسلامى فكان لابد

www.mtenback.com

من الاستفادة من هذا العلم الحديث لسد حاجة الملايين من المسلمين الذين يحرصون على قراءة كتاب الله واقتنائه . وإن كان المتتبعون لتاريخ الطباعة يقولون : إن المسلمين قد أحجموا عن استغلال المطابع الحديثة فى بداية الأمر ولم يسمح بطباعة القرآن إلا فى عهد متأخر بالنسبة لاختراع المطابع ، المهم أن طباعة المصحف بدأت على أى حال وبدأت بداية جيدة وقوية ذللت فيها كثير من فنيات المطابع لتلائم الرسم الصحيح للقرآن الكريم وتبقى على رسم المصحف الأول .

وقد طبع من القرآن ملايين النسخ وطبع عشرات المرات فى أكثر بلاد المسلمين وفى غير ذلك ، طبع فى الهند وفى الباكستان وطبع فى تركيا وفى غيرها وطبع فى مصر وفى الشام وتفاوتت طباعته من حيث الجودة والاتقان ومن حيث جمال الورق ولونه وعلامات الضبط وغير ذلك ، وكان من أجود ما رأيت بالنسبة للطبعات العربية طبعة مصر القديمة التى اعتمدت عليها الطبعة التى صدرت فى قطر عام ١٤٠٢ هـ فقد كانت طبعة أنيقة واضحة تلائم المشارقة بعدت أسطرها بعض البعد وتميزت كلماتها وحروفها وكذلك الآيات فيها وحزب المصحف وأتقن كل الاتقان وضبط بشكل يريح القارئ ويساعده على القراءة ويجنبه الخطأ بقدر المستطاع .

وكان لابد لهذه البلاد التى منّ الله عليها بفضله واكرمها بحراسة مقدسات المسلمين ومنها المدينة المنورة ذات السبق الأول فى نشر كتاب الله ، كان لابد لها من دور نحو كتاب الله ونحو المسلمين الذين يتجهون إلى هذه المقدسات فى وجوههم وقلوبهم خمس مرات فى اليوم فقامت

www.mtenback.com

بدورها بعد أن اكتملت أسباب النجاح لديها بتوفيق من الله لتعيد إلى منبع النور ومهبط الوحى ومهد الرسالة مكانتها التى كانت لها وقوتها ، وقد هيأ الله ذلك فأقيم « مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة » وافتتح المجمع بنفسه فى زيارته للمدينة المنورة فى العام الماضى وأمر ببدء العمل فطبع المصحف بالمدينة مرة أخرى بعد ألف وأربعمائة سنة لينتشر مصحفها المطبوع فيها فى كل أقطار المعمورة كما انتشر مصحفها المخطوط فى أول مرة فى التاريخ .

وسيكون مصحف المدينة إن شاء الله هو مصحف كل المسلمين يقرأونه أينما كانوا ، ولن يكون ذلك صعبا على ما أعد للمصحف من اعتمادات وقدرات مالية كبيرة تضمن توزيعه وسرعة انتشاره وبعدد كاف يسد الحاجة المتزايدة على طلب القرآن .

بدأ الإنتاج ووصل أوله بضعة آلاف خصصت لحرمى مكة والمدينة وهى من القطع المتوسط جاءت طبعة ممتازة تفوق أكثر ما رأيت من طبعات سبقتها ضبطت ضبطا جيدا وحزبت وبدأت كل صفحة منها ببداية آية وانتهت بنهاية أخرى وهذا عمل فنى شاق .

وتميزت علامات الإعراب والضبط وظهرت واضحة جلية وأحيطت صفحاتها باطار ذهبى مزخرف ، وورقها جميل صقيل لا تمل العين النظر به ولونه أبيض مشرب بصفرة .

ثم ألحق فى آخره تعريف بُيِّن فيه مدلول بعض الاصطلاحات وعلامات الضبط التى اتبعت وأشير إلى المصادر التى كان الاعتماد

www.mtenback.com

عليها كما أشير إلى أسمائها ونوه على بعض ما يجب التنويه عنه حول السجدات وعدد الآيات وغير ذلك مما يسهل على قارئ مصحف المدينة فهم بعض الرموز التى رأت اللجنة وضعها . أما الغلاف فهو أخضر داكن زخرف جانبه الأيمن وذهب فى مستطيلات أدخل بعضها فى بعض ، وجلد تجليدا راقيا يستطيع القارئ أن يثنيه ويقابل طرفى صفحاته ببعض دون الخوف من تمزقه أو انحلال أوراقه .

حصلت على نسخة من « مصحف المدينة النبوية » هكذا كان اسمه فسرنى أن حقق الله انجاز عمل عظيم فى المدينة فى المملكة العربية السعودية وهيأه ليقدمه أبناء بلادنا واجبا عليهم يخدمون به كتابهم وإخوانهم من المسلمين الذين سيفرحون بقراءة مصحف المدينة المنورة مرة أخرى فى تاريخ الطباعة الحديثة وسيرون المدينة تعود إلى مكانتها ويعود إليها الماضى المجيد الذى كان لها فيبدأ منها المصحف مطبوعا كما بدأ منها مخطوطا ، وإذا كنت أكتب واصفًا إنجاز المصحف الذى أرجو أن يكون أجره لمن أمر به ولمن عمل على إظهاره من العلماء والقراء فإن هذا لا يمنع من ذكر بعض الملاحظات اليسيرة عسى أن يكون فى ذلك خدمة أوفى وأكمل ليصل كتاب الله إلى الكمال فى العمل الفنى والاتقان :

أول ملاحظة : هى الاسم الذى اختير له « مصحف المدينة النبوية » إن للمدينة الكثير من الأسماء أشهرها المدينة المنورة ومنها طيبة الطيبة ودار الهجرة وغير ذلك من الأسماء والصفات وكلها تطلق على البلدة التى اختارها الله مهاجرًا لنبيه وحببها إليه وجعلها مقر الإسلام ومنطلق

www.mtenback.com

الدعوة وقد ذكر فى فضلها وأسمائها الكثير ، لكن أشهر أسمائها هو المدينة المنورة وعامة الناس إذا سمعوا المدينة معرفة باللام لا يفهمون سواها ولا أدرى لماذا اختير اسم « مصحف المدينة النبوية » وعدل عن مصحف المدينة المنورة .

إن المدينة النبوية وإن كان اسما صحيحًا إلا أنه غير شائع وغير مألوف لدى الناس على اللسان والأذن والعدول عن الاسم السهل المعروف المصطلح عليه بين عامة الناس لا أجد له مبررا فى رأيى ولعل الذين اختاروا الاسم يعيدون النظر ويطلقون اسم مصحف المدينة المنورة أخذًا بمبدأ الأسهل والأقرب وتوحيدًا للاسم الذى تعارف عليه الناس وهو المدينة المنورة أما ما سوى ذلك فيعد من صفات المدينة كما سبق أن أشرت وليست أسماء لها .

أما الملاحظة الثانية وهى المهمة فأرجو أن يتسع لها صدر من منّ الله عليهم وأكرمهم بأن جعلهم ممن له فضل الاشراف والاعداد والعمل على إنجاز مصحف المدينة ، وملاحظتى هى على تلك الأسماء والألقاب العلمية والادارية التى ذيل بها المصحف وأثقل بها كتاب الله تحت عنوان (قرار اللجنة) إن أبسط المسلمين يعرف ما يتطلب عمل مثل عمل مصحف المدينة من جهد ويدرك أن عشرات الأشخاص سيكونون وراء الانجاز النهائى وكل ذلك من قبيل العمل الادارى الذى لا علاقة لقارئ المصحف به ولا يزيد ذكرها ولا ينقص من قيمة المصحف عنده شيئًا وتلك القرارات والأسماء وألقابها يجب ألا تكون بين دفتى القرآن ومكانها ملف خاص فى مطبعة المصحف

www.mtenback.com

لمن أراد الرجوع إليها . وقد ذكرت أن المصحف طبع عشرات المرات وجرد كل التجريد من الأسماء والقرارات الادارية ما عدا بعض طبعات مصر فقد أشير إلى اسمين أو ثلاثة من قراء الديار المصرية .

أما مصحف المدينة فقد جاء قرار اللجنة ليضيف أعباء وصفحات عدة على كتاب الله تحمل أسماء عشرات القراء والأئمة والحفاظ وبعض المسؤولين وألقابهم العلمية والادارية حشرت حشرا وأصر على ذكر بعضها إصرارا وهو شيء كان الأفضل أن يجرد منه القرآن ، ويكفى عن ذلك كله ما وضع فى مقدمة المصحف من تعريف بالأمر الملكى الذى صدر بطبعه ثم كتابة اسم مجمع الملك فهد كما حصل فى آخر صفحة منه ففى ذلك تعريف كامل بالمصحف وأين طبع واسم جلالة الملك الذى أمر بطبعه وكان وراء إنجازه .

أما أسماء العلماء الذين استشيروا والاداريين الذين باشروا العمل ومن حتمت عليهم مسؤولياتهم الوظيفية والرسمية المشاركة بشيء يتعلق بالانجاز فالواجب أن تكون تلك الأشياء فى ملف خاص وليس بين دفتى المصحف .

فكتاب الله أكرم وأعظم على الله وعلى عامة المسلمين من أن يثقل بعدد من الصفحات التى لا تضيف فائدة لقراء القرآن بل تثقل عليهم وتزيد حملهم ، والمسلمون يعلمون أنه قد حث على تجريد القرآن من كل شيء حتى أفضل كلام وأبلغه بعد القرآن وهو حديث

www.mtenback.com

الرسول ﷺ منع المسلمون من كتابته مع القرآن فلماذا تضاف الأسماء إلى المصحف ؟ إذا كان الغرض هو طمأنة الناس على أن هذه الطبعة أعدت بمعرفة كبار القراء على معنى « فانظروا عمن تأخذون دينكم » فالأحوط أن يشار إلى ثلاثة أسماء أو أربعة من العلماء الذين باشروا العمل فعلا ويشار إلى أن هذه الطبعة قد أعدت وأشرف عليها نخبة من كبار الحفاظ والقراء والعلماء وهذا يكفى ...

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

رقم الإيداع	١٩٩٣ / ٩٥٨٦
الترقيم الدولى	ISBN 977 – 02 – 4277 – 2

٢ / ٩٣ / ٢٦٨
طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

www.mtenback.com

نبذة عن المؤلف :

- مرزوق بن صنيتان بن مرزوق بن تنباك المسروحى الحربى.
- ولد فى بلاد مسروح بالمدينة المنورة عام ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م.
- أكمل تعليمه الابتدائى والثانوى فى المدينة المنورة.
- التحق بجامعة الرياض قسم اللغة العربية وآدابها وتخرج فيها.
- عُين معيدًا فى الجامعة نفسها .
- حصل على درجة الدكتوراة من جامعة أدنبرة فى بريطانيا.
- عين أستاذا مساعدا فى جامعة الملك سعود (الرياض سابقا).
- حصل على درجة الأستاذية فى الجامعة نفسها.

من مؤلفاته :

١ - الفصحى ونظرية الفكر العامى

وقد فاز الكتاب بجائزة مكتب التربية العربى لدول الخليج عام ١٤٠٧هـ عن العلوم الإنسانية.

٢ - الغيور والصبور

٣ - الجوار عند العرب

٤ - الضيافة وآدابها

٥ - رسائل إلى الوطن

٦ - فى سبيل لغة القرآن

٧ - النخبة بين إدعاء الوطنية وممارسة التحيز

٨ - جمرات الحجاز

مطابع دار المعارف - مصر

www.mtenback.com